التصوف رقي روحي وصفاء وجداني

الباحث/ شيرين عبد الرحمن علي عبد الرحمن

الملخص:

التصوف روح الأمة وقلبها الذي ينبض بالحياة عبر ربط الناس بأخلاق الإسلام الصافية من غير تكلف ولا تعسف بروح إيمانية راقية ، وقد كان الشيخ إسماعيل ضيف أحد المشايخ الذين كان لهم باع طويل في السلوك العملي التطبيقي الذي طبق ومارسه بين أتباع طريقته ، عبر تربيتهم على المقامات والأحوال وصقل نفوسهم وربطها بالله عز وجل ، حيث كانت طريقته الضيفية الخلواتية نابعة من الكتاب والسنة وعمل الصحابة والصالحين ، وقد تامل الشيخ مع قضايا المجتمع والحكام وفي قضايا المرأة بناءً على ذلك الفهم الصحيح للكتاب والسنة ، فكانت طريقته خير تطبيق لأخلاق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

الكلمات الإفتتاحية : التصوف – الروحي – الوجدان.

Summary

Sufism is the soul of the nation and its heart that beats with life by linking people to the pure morals of Islam without affectation or arbitrariness with a lofty spirit of faith. And he polished their souls and their Lord God Almighty, as his method of retreating guests stemmed from the Book and the Sunnah and the work of the Companions and the righteous, and the Sheikh meditated with the issues of society and rulers and women's issues based on that correct understanding of the Book and the Sunnah, so his method was the best application of the morals of the Messenger Muhammad, may God bless him and grant him peace.

Keywords: Sufism - spiritual - conscience.

المقدمة

الإسلام نظام كامل شامل يتناول مظاهر الحياة جميعاً ؛ فهو يهتم بالروح والجسد والقلب والعقل وبكل جوانب الإنسان الروحية والنفسية والسلوكية ، وقد أثرى حركة الحياة بهذا المفهوم الشامل في كافة جوانبها المختلفة ، وعلى وجه الخصوص الجانب الثقافي والروحي منها، وما زالت حركة الحياة ثرية بمعطيات الإسلام.

ففي البداية كان الوحي ينزل طرياً على قلب سيدنا محمد ﷺ ، وكان النبي ﷺ يقوم بدور المعلم، فكان يفسر من القرآن الكريم ما يحتاج إلى تفسير، ويقدم حلولاً لما يشكل فهمه على أصحابه فيما لم ينزل فيه وحي – وإن كانت سنته ﷺ في إطار الوحي انطلاقاً من قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ (سورة النجم الآيتين ٢،٣) إلى جوار ذلك كان لبعض أصحاب النبي ﷺآراء واجتهادات – تعتبر بحق – جذوراً للعلوم الإسلامية التي استقامت مناهجها في العصور اللاحقة بالعصر الأول، الذي لم يكد ينتهي حتى زادت أعداد الداخلين في الإسلام، وحدث تناسب طردي بين زيادة أعداد الداخلين فيه، وبين تولد المشكلات والمسائل الخلافية؛ التي أطلت برأسها، ولما ينتهي عهد الخلافة الراشدة .إلى جوار ذلك ظهرت بعض التيارات الأخرى، التي تمثلت في اعتزال هذا الجو المائج بالفتن، أو الانغماس في الخصومات، أو إتباع الشهوات . ومهما يكن من أمر ذلك كله، فالذي يعنينا هنا أنه بانقضاء القرن الأول للإسلام، وجدت بواكير العلوم الإسلامية المختلفة، وجذور الطوائف المتعددة ومن هذه العلوم الإسلامية علم التصوف، ومن هذه الطوائف طائفة الصوفية التي عنيت بفقه القلوب، من طهارة الباطن، وتزكية النفس، والتحلي بمكارم الأخلاق، وإلزام النفس بمنهج خاص؛ يهدف إلى تحقيق أرقي درجات القرب من الله تعالى ، وهذا المقال جاء تحت عنوان : (**التصوف رقي روحي وصفاء وجداني**). وفيه نتناول كيف أن التصوف ومنهجه باب للرقي الروحي والصفاء القلبي.

أولًا: أهمية الموضوع.

١. بيان الفكري الصوفي النابع من الكتاب والسنة النبوية ، وأهمية نشره بين الناس ، و أن التصوف الصحيح يحقق حالة من الروحانية والوجدانية في نفس الشخص تجعله يتسامي ويرتقي في سلوكه وأخلاقه.

٢. أهمية الحياة الروحية وتصفية النفوس وترقيتها وفق منهج الإسلام الصحيح ، وضرورة معرفة الطريق الصحيحة لتزكية النفس ورياضتها بما لا يتعارض وأحكام الإسلام.

٣. بيان منهج التصوف الصحيح الموافق للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، حتى يكون المسلمون على بينة من أمر دينهم ، فلا ينخدعوا بالشعارات التي يرفعها أعداء الإسلام.

٤. التحذير من المراوغة التي يستخدمها أعداء الإسلام في الانزال بالدارسين المسلمين وخصوصاً الشباب في تأويل وصرف أنظارهم وأفكارهم إلي المعتقدات الباطلة ذلك من أجل الكيد للإسلام وعلومه ، خصوصاً وأن التصوف يحمل نظريات سلوكية وأخلاقية لها تأثير كبير في نشأة وتكوين الفرد المسلم في مجري حياته اليومية.

ثانياً: الأهداف.

١-أن يلتزم المسلم بأخلاق الإسلام الراقية عبر طريق الحق.

٢-أن يتحقق في نفسه بأخلاق الإسلام السمحة.

٣-أن يقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وسلوكه.

ثالثاً : المشكلة البحثية.

- وجود خلط كبير بين التصوف النابع من الكتاب والسنة وبين ما يفعله البعض تحت مسمي التصوف.
- وجود فجوة بين حقيقة التصوف وبين سلوك بعض المنتسبين إليه.
- وجود أدعياء يشوهون الصورة الصافية النقية للتصوف الإسلامي.

رابعاً : منهج البحث.

استخدمت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي ، ثم المنهج الاستنباطي ، ومن خلال تبنِّي مبدأ الموضوعية ، الذي يأتي في مقدمة مقومات البحث العلمي المنضبط، بالإضافة للمنهج النقدي ولا غني للباحث عن غيرهم من مناهج البحث العلمي.

خامساً : هيكلية البحث

من أجل تحقيق هدف البحث وغايته تم تقسيمه إلى:

المبحث الأول : تعريف التصوف ونشأته وأشهر الكتب فيه.

المبحث الثاني : التصوف السني وأهم سماته

الخاتمة وفيها: أهم النتائج، وأبرز التوصيات.

المبحث الأول : تعريف التصوف ونشأته وأشهر الكتب فيه.

التعريف بالتصوف

يمثل التصوف أو الصوفية نزعة إنسانية ، ويمكن القول بأنها ظهرت في كل الحضارات على نحو من الأنحاء ، وهو يعبر عن شوق الروح إلى التطهر ، ورغبتها في الاستعلاء علي قيود المادة وكثافتها ، وسعيها الدائم إلى تحقيق مستويات عليا من الصفاء الروحى والكمال الأخلاقى.

التصوف لغة :

التصوف في اللغة هو : تصوَّفَ يتصوَّف ، تصوُّفًا ، فهو مُتصوِّف ، و تصوَّف الشَّخصُ : صار صُوفيًّا واتبَّع سُلوكَ الصُّوفيّة وحالاتهم ، تَصَوَّفَ الرَّجُلُ: لَبِسَ الصُّوفَ[١].

لفظة التصوف في مادة (ص و ف)، على حسب الصوف للضأن وما أشبهه: الصوف للغنم كالشَعر للمعز والوبر للإبل الجمع أصواف، وقد يقال للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع) [٢].

والتَّصوُّفُ : طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل ، لتَزْكُوَ النفسُ وتسموَ الروح.

و(علم التصوف) : مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوِّفة ، والآداب التى يتأَدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم[٣]. وهو الصدق مع الله ، والتحرر من سطوة الدنيا ، وحسن التعامل مع الناس . هذا هو المشروع منه . وما أدخله بعضهم من انحراف عن القرآن والسنة من وحدة الوجود ، والحلول ، وسقوط التكاليف ونحوها ، فهو كفر وزيغ وضلال.

وقيل أن التصوف مأخوذ من الصُفَّة ، لأن صاحبه تابعٌ لأهل الصُفَّة وهم مجموعة من المساكين الفقراء كانوا يقيمون في المسجد النبوي الشريف ويعطيهم رسول الله من الصدقات

والزكاة طعامهم ولباسهم. أنه من الصف ، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث حضورهم مع الله ؛ وتسابقهم في سائر الطاعات(٤).

التصوف اصطلاحاً :

التصوف اصطلاحاً : (هو تجريد العمل لله تعالى ، والزهد في الدنيا وترك دواعي الشهرة ، والميل إلى التواضع والخمول ، وإماتة الشهوات في النفس)(٥).

و إنما كان نسبة إلى لبسهم الصوف الذي عبر عن الزهد والتقشف وترك التنعم والملذات المباحة ، وقد علق عليه القشيري(٤٦٥هـ) (٦). بقوله :" ذلك وجه ، ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف"(٧) ، و التصوف مأخوذ عن الصفاء ؛ أي صفاء أسرارهم أو صفاء قلوبهم أو صفاء معاملتهم لله تعالى ، وهو ما يحب الصوفيون التسمي به(٨).

وبعضهم يرى أنه نسبة إلى الصفة التي كان يجلس فيها فقراء الصحابة ﷺ في المسجد(٩).

ويرجح الشيخ زرّوق (ت٨٩٩هـ)(١٠) ، هذا المعني في تعريف التصوف ويعتبره أصل وقاعدة من قواعد التصوف كما ذكرها حيث يقول هم – أي أهل الصفة – :" الذين قال الله تعالى فيهم :﴿ وَلا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾(١١) ، وهذا هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه"(١٢).

يقول الشيخ اسماعيل الصاوي الخلواتي(ت١٢٨٠هـ)(١٣): " إن التصوف تربية روحية مبنية على التصالح النفسي ، موصوفة بالتواضع ، وأن الجهل بالشيء فكرة للمعرفة ، والحضور يتشكل بالذكر ، وأن كل الطرق الصوفية نهجها يقوم على تطبيق السنة النبوية بشكل مختلف ، كما اختلفت الدعوات لأساس واحد وغاية واحدة ، يهمها الإنسان كسلوك وروح . فتصوف الإنسان يؤسس لرضاه وراحته ، والتصوف منهج تصحيح السلوك كإجابة لدعوة الدين .ما تشمله الصوفية من تقويم فردي ، لتتحلى الروح والنفس بالجميل مستندة على الكتاب والسنة النبوية ، وتعد من أولوياتها إصلاح علل الفرد النفسية والروحية بمراقبة النفس ، والاستعانة على تفلت النفس بالذكر الحكيم وتربيتها ، كتتبع أثر أمره : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ...﴾ (١٤) لتحقيق مقام عالي يتجلى بالتقوى والورع .. ومقام التصوف الأصيل في المراقبة النفسية ، مراقبة الخالق ، وأعلاها أن ترى الله ﷻ(١٥). ، قال رسول الله ﷺ:{ أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك}(١٦).

وقال الشيخ محمد متولي الشعراوي(ت١٤١٨هـ) : " الصوفيّة منْ أصل صافى وصوفِيَ إليه : أي بادله الإخاء والمودّة ، وتكونُ بتقرّب العبْد لربّه بالحُب والطّاعة ويُصافيه الله بقرْبه وكرامته، فنقول : الذي صوفِي مِن اللَّهِ جل جلاله"(١٧).

العلاقة بين المعني اللغوي والمعني الاصطلاحي :

والمعني اللغوي مع المعني الاصطلاحي يؤكدان أن معني التصوف يدور حول الصفاء والنقاء الذي تحدثه العبادة ورياضة النفس باتباع الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وأن ما رد به العلماء من نسبة التصوف إلي الفارسية أو غيرها ممن هم قبل الإسلام كما أشار نيكسون في كتابه(التصوف الإسلامي وتاريخه)(إن بذور التصوف الأولى ظهرت في نزعات الزهد القوية التي سادت العالم الإسلامي في القرن الأول الهجري، واختلف الباحثون في تفسير كلمة "التصوف"، فمنهم من أرجعها إلى لبس الصوف الذي كان يؤثره المتصوفة على سواه مبالغة في الزهد والتقشف، وفي هذا حاكى العرب رهبان المسيحيين) (١٨)، فلا صحة لذلك فإن الزهد ومجاهدة النفس كان موجوداً في عصر النبوة وعصر الصحابة ﷺ.

و التصوف هو أحد مراتب الدين الثلاثة : (الإسلام ، الإيمان ، الإحسان) ، فمثلما اهتم الفقه بتعاليم شريعة الإسلام ، وعلم العقيدة بالإيمان ، فإن التصوف اهتم بتحقيق مقام الإحسان ، مقام التربية والسلوك ، مقام تربية النفس والقلب وتطهيرهما من الرذائل وتحليتهما بالفضائل ، الذي هو الركن الثالث من أركان الدين الإسلامي الكامل بعد ركني الإسلام والإيمان ، وقد جمعها حديث جبريل عليه السلام . وذكر ابن عاشر(ت ١٠٤٠هـ) (١٩). في منظومته : (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)، وحث أكثر على مقام الإحسان ، لما له من عظيم القدر والشأن في الإسلام.

قال أحمد بن عجيبة(ت١٢٢٤هـ)(٢٠). : « مقام الإسلام يُعبّر عنه بالشريعة ، ومقام الإيمان بالطريقة ، ومقام الإحسان بالحقيقة. فالشريعة : تكليف الظواهر ، والطريقة : تصفية الضمائر ، والحقيقة : شهود الحق في تجليات المظاهر. فالشريعة أن تعبده ، والطريقة أن تقصده ، والحقيقة أن تشهده»(٢١).

فمقام الإحسان الذي ورد في الحديث وتكلم فيه الصوفية هو المعني المراد تحقيقه في المتصوف وصبغه بتلك الصبغة حتي تصفو روحه وترتقي نفسه فيكون مسلماً ، ثم مؤمناً ، ثم محسناً وبذلك يترقي في الدرجات الثلاث.

وقال أيضاً : « مذهب الصوفية : أن العمل إذا كان حدّه الجوارح الظاهرة يُسمى مقام الإسلام، وإذا انتقل لتصفية البواطن بالرياضة والمجاهدة يُسمى مقام الإيمان ، وإذا فتح على العبد بأسرار الحقيقة يُسمى مقام الإحسان»(٢٢).

والإحسان كما تضمنه حديث جبريل عليه السلام عندما سأل النبي ﷺ فقال : { أخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك}(٢٣)، وهو منهج أو طريق يسلكه العبد للوصول إلى الله ﷻ ، أي الوصول إلى معرفته والعلم به ، وذلك عن طريق الاجتهاد في العبادات واجتناب المنهيات ، وتربية النفس وتطهير القلب من الأخلاق السيئة ، وتحليته بالأخلاق الحسنة. وهذا المنهج يستمد أصوله وفروعه من القرآن الكريم والسنة النبوية ، واجتهاد العلماء فيما لم يرد فيه نص ، فهو علم كعلم الفقه له مذاهبه ومدارسه ومجتهديه وأئمته الذين شيدوا أركانه وقواعده – كغيره من العلوم – جيلاً بعد جيل حتى جعلوه علما سموه بـ علم التصوف ، وعلم التزكية، وعلم الأخلاق، وعلم السلوك ، أو علم السالكين إلى الله ، فألفوا فيه الكتب الكثيرة بينوا فيها أصوله وفروعه وقواعده.

نشأة التصوف وأشهر الكتب فيه :

يُرجع الصوفية أصل التصوف كسلوك وتعبد وزهد في الدنيا وإقبال على العبادات واجتناب المنهيات ومجاهدة للنفس وكثرة لذكر الله إلى عهد رسول الله محمد ﷺ وعهد الصحابة رضي الله عنهم ، وأنه يستمد أصوله وفروعه من تعاليم الدين الإسلامي المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويقول القشيري(ت٤٦٥هـ): « اعلموا أن المسلمين بعد رسول الله ﷺ لم يَتَسمَّ أفاضلهم في عصرهم بتسمية علم سوى صحبة الرسول ﷺ ، إذ لا أفضلية فوقها، فقيل لهم «الصحابة» ، ثم اختلف الناس وتباينت المراتب، فقيل لخواص الناس ممن لهم شدة عناية بأمر الدين «الزهاد» و«العُبَّاد»، ثم ظهرت البدعة ، وحصل التداعي بين الفرق ، فكل فريق ادعوا أن فيهم زهادًا، فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفسهم مع الله سبحانه وتعالى، الحافظون قلوبهم عن طوارق الغفلة باسم «التصوف» ، واشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة»(٢٤).

من علماء التصوف :

ولقد زخر التاريخ الإسلامي بعدد كبير من العلماء المسلمين انتسبوا إلي التصوف وقاموا بطريقه والعمل بالسلوك وتقويم النفس ورياضتها وسجلوا ذلك في كتب كثيرة لهم من هؤلاء

: الجنيد البغدادي(ت٢٨٩هـ)[٢٥]، وأحمد الرفاعي(ت٥٧٨)[٢٦]، وعبد القادر الجيلاني(ت٥٦١ هـ)[٢٧]، أحمد البدوي(ت٦٧٥هـ)[٢٨].

، إبراهيم الدسوقي(ت٦٩٦ هـ)[٢٩]، وأبو الحسن الشاذلي(ولد ٥٧١هـ) ، والإمام النووي(ت٦٧٦هـ) ، و الإمام أَبُو حَامِدْ الغزالي (ت٥٠٥هـ)، و الإمام العز بن عبد السلام(ت٦٦٠هـ)، و القادة العظام مثل : صلاح الدين الأيوبي (ت٥٨٩هـ)، ومحمد الفاتح(ت٨٨٦هـ) ، وغيرهم كثير في أنحاء العالم الإسلامي ، وفي كافة عصور الإسلام المختلفة.

المبحث الثاني: التصوف السني وأهم سماته

يقصد بالتصوف السني : هو زاوية من زوايا السلوك الحقيقي ، وتزكية النفس وتهذيبها لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى ، ومعية من تحبه[٣٠].

و التصوف السني ما كان مضبوطا بالكتاب والسنة مستمداً منهما ولا يخالفهما ، بل يكون مضبطاً بالكتاب والسنة قولاً وعملاً ؛ فالتصوف السني هو مسلك يهدف الى تزكية النفس وتحسين الخلق والسمو بالروح والقرب من الله تعالى وبلوغ درجة الاحسان.

وفي بيان ذلك يقول الإمام الغزالي : « واعلم أن سالك سبيل الله تعالى قليل ، والمدعى فيه كثير، ونحن نعرفك علامتين له :

العلامة الأولى : أن تكون جميع أفعاله الاختيارية موزونة بميزان الشرع ، موقوفة على توفيقاته إيرادًا وإصدارًا ، وإقدامًا وإحجامًا ؛ إذ لا يمكن سلوك هذا السبيل إلا بعد التلبس بمكارم الشريعة كلها ، ولا يصل فيه إلا مَن واظب على جملة من النوافل ، فكيف يصل إليه من أهمل الفرائض؟ " لو رأيت إنسانًا يطير في الهواء ، ويمشي على الماء وهو يتعاطى أمرًا يخالف الشرع ، فاعلم أنه شيطان ، وهو الحق»[٣١].

فالتصوف الصحيح أو التصوف النسب ما كان فيه الصوفي ملتزماً بالكتاب والسنة في أقواله وأفعاله وجميع أحواله ، فإن أبدي في سلوكه وكلامه غير ذلك فليس على شيء.

ويقول أيضاً : «إني علمت يقينًا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله تعالى خاصة ، وأن سيرتهم أحسن السير، وأخلاقهم أزكى الأخلاق ؛ فإن جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة"[٣٢].

وهذا ما أقر به الصوفية في كلماتهم وعبروا بها لمريديهم أن يلتزموا طريق الكتاب والسنة ويخالفوا هواهم ، وأن يكون مرجعهم في كل أحوالهم كتاب الله تعالى وسنة رسولهﷺ.

يقول سهل التستري(ت٢٨٣هـ): « أصول طريقنا سبعة : التمسك بالكتاب ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال، وكف الأذى ، وتجنب المعاصي ، ولزوم التوبة ، وأداء الحقوق»(٣٣).

ويقول أبو الحسن الشاذلي: «إذا تعارض كشفك مع الكتاب والسنة ؛ فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك : إن الله تعالى ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة ، ولم يضمنها في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة» (٣٤).

مع أنهم أجمعوا على أنه لا ينبغي العمل بالكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، ويقول أبو سعيد الخراز: «كل باطن خلافه الظاهر فهو باطل"(٣٥).

فالتصوف السني هو امتداد لما كان عليه كثير من الصحابة ﷺ والسلف في طرد الشهوات والوصول بالنفس إلى الصفاء ، فإذا صفت النفس رأت ما لا تراه نفوس الآخرين كما يرى أئمّة الصوفيّة ، فكلامهم مستند على تعاليم الكتاب والسنة النبويّة الشريفة ، وأقوال الصحابة ﷺ وأئمّة السلف ، والأئمّة الأربعة وغيرهم ، فهم إذًا فرعٌ من فروع أهل السنة والجماعة يمثلون الإسلام الصافي ولا يقولون بغير الكلام المستند على أدلّة من الشريعة ، ولكن حدث في العصور المتأخّرة أن اختلط بعض المحسوبين على التصوّف بالأمم الأخرى ودرسوا فلسفاتهم واطّلعوا عليها وحاولوا أن يُضفوا على تعاليمهم صبغة شرعيّة(٣٦).

***ضرورة الرجوع بالأمة الإسلامية إلي ينابيع التصوف الصافية :**

إن مما يجب أن يهتم به الدعاة والمربون والصالحون في كل وقت هو الرجوع بالأمة الإسلامية إلي جوهر التصوف وحقيقته النقية الصافية ، والتي نشأ أول ما نشأ عليها.

وتتمثل هذه الحقيقة الصوفية أو الينابيع الأصلية في عدة أمور أهمها ما يلي :

أ- إلتزام منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في العبادة وفي مجاهدة النفس ، إذ لا صلاح للنفس ولا ترقية لها إلا بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهو منهج النبي ﷺ والصحابة ﷺ ، وكافة أئمة الزهد والتصوف من بعدهم.

فالتصوف في الأساس هو عبارة عن تربية عالية للنفوس تقوم على غرس الفضائل ، واقتلاع الرذائل ، وقمع الشهوات. كما أنه تدريبٌ على الصبر والرضا والطاعات. وهو أيضا عبارة عن مجاهدة النفوس، ومكابدة نزعاتها ، ومحاسبة دقيقة لها على أعمالها ، وحفظٌ للقلوب عن طوارق

الغَفَلات وهواجس الخطرات ، وانقطاعٌ عمَّا يعوق السالك في سَيْرِه إلى الله عزَّ وجلَّ، وزهادةٌ في كل ما يُلْهي عن ذكر الله تعالى ويَعْلَقُ بالقلوب سواه. إنَّه علمٌ وحِكمة ، وتبصرةٌ وهداية ، وتربيةٌ وتهذيب ، وعلاجٌ ووقاية ، وتقوى واستقامة ، وصبرٌ وجهاد، وفرارٌ من فتنة الدُّنيا وزينتها وابتعا.

ب– البعد عن كل خرافة أو بدعة في العبادة والذكر ورد الناس إلي الأوراد الصحيحة والأذكار النبوية ، وما يأثر عن الصحابة والصالحون مما يوافق الكتاب والسنة.

يقول أبو محمد الجريري(ت٣١١هـ) : (التصوف : الدُّخول في كلِّ خُلُق سَنِيٍّ ، والخروجُ من كلِّ خُلُق دَنِيٍّ)[٣٧].

والتحلي بالمعرفة الصحيحة وعلامتها السلوك الصحيح في العبادة والمعاملة والخلق ، ولهذا يردُّ الإمامُ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق(١٩١٠م – ١٩٧٨م) على كل من ينتقد التصوف وأنه ليس طريق الحق ؛ فيقول :" بأنَّ طريق الصوفية هو البصيرة ، الذي سبيله التزكّي والتطهر ، وأنَّ المعرفة الصوفية معرفةٌ إلهاميةٌ ، ودليل صحَّتها –كما يقول الإمام محمَّد عبده (ت ١٩٠٥م) – ظهور الأثر الصالح من الصوفية ، وسلامة أعمالهم مما يخالف الشريعة، وطهارة فطرتهم مما يستنكره العقل الصحيح[٣٨].

ج– الإلتزام بالمنهج النبوي في تربية النفس وتهذيبها ، وفق ما جاء في الحديث الشريف وهي ثلاث مراتب :

* **ركن الإسلام** : وهو الجانب العملي ؛ من عبادات ومعاملات وأُمور تعبدية ، ومحله الأعضاء الظاهرة الجسمانية. وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واختص بدراسته الفقهاء.

***ركن الإيمان** : وهو الجانب الاعتقادي القلبي؛ من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. وقد اختص بدراسته علماء التوحيد.

***ركن الإحسان** : وهو الجانب الروحي القلبي ؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأذواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية ، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واختص ببحثه الصوفية.

وللوصول إلى هذا المقام ، والإيمان الكامل، لابد من سلوك الطريقة ، وهي مجاهدة النفس، وتصعيد صفاتها الناقصة إلى صفات كاملة ، والترقي في مقامات الكمال بصحبة المرشدين ، فهي الجسر الموصل من الشريعة إلى الحقيقة. : «الطريقة هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله، من قطع المنازل والترقي في المقامات"[٣٩].

مما سبق يتبين لنا :

أن التصوف هو تعبير عن مقام الاحسان الذي يرتقي فيه العبد من مرتبة الإسلام والإيمان إلي منزلة عليا في الطاعة والعبادة والقرب من الله عز وجل.

وأن التصوف السني النابع من القرآن الكريم وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أخلاق الصحابة الكرام عليهم رضوان الله تعالى ، هو التصوف الصحيح.

وأن التحلي بالمعرفة الصادقة الصحيحة وعلامتها السلوك الصحيح في العبادة والمعاملة والخلق هو دليل على سلوك الطريق القويم في التصوف الصحيح.

الخاتمة:

من خلال تناولنا لمعني التصوف والتعرف على بعض أعلامه ومنهج التصوف السني وسماته ، أمكن الخروج بمجموع من النتائج والتوصيات:

أولًا: النتائج:

١- أن التصوف منهج الزهد وتربية النفس ومجاهداتها وفق المنهج الإسلامي ، وأن الهدف من تكوين الطرق الصوفية وانشائها هو القيام بهذا المنهج التربوي.

٢- كانت الآداب الصوفية هي التي قامت بها طريقة الشيخ إسماعيل ضيف في تربية أتباعه ومريدي طريقته ، وهي أساس التصوف الصحيح فما التصوف عند الشيخ إسماعيل ضيف إلا أدب وخلق وسلوك حسن ورحمة بالخلق جميعاً.

٣- الطريقة الخلواتية التي انبثقت منها الطريقة الضيفية للشيخ إسماعيل ضيف طريقة سنية تتبع المنهج النبوي الشريف وأئمة المسلمين من العلماء والفضلاء الصالحين ، ومنهجها وطريقتها وشروطها متفقة تماما مع قواعد الإسلام وأسسه لا تخرج عنها بحال.

ثانيًا: التوصيات

من أبرز التوصيات التي خرجت بها الباحثة ما يلي:

١- توصي الباحثة بالعناية بالآداب والأخلاق والسلوكيات الصوفية ونشرها بين الناس ففيها خير كثير للناس جميعاً.

٢- التأصيل للقضايا التي وقع فيها الخلاف بين الصوفية بعضهم البعض في محاولة لجمع شملهم على منهج التصوف السني الصحيح وترك ماعداه.

٣- نشر الكتب والمؤلفات التي تبين وتوضح الأخلاق الإسلامية التي يتبناها الصوفية مثل الرحمة بالخلق والصدق مع النفس وغيرها وأنها جميعها من الأخلاق التي علمها لنا رسول الله ﷺ.

الهوامش:

(١) معجم المعاني الجامع – معجم عربي عربي ، مادة تصوف ، ص١٤٥.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، المجلد الثامن مادة صوف.

(٣) المعجم الوسيط ، مادة صوف ، باب الصاد ، ج١/ص ٥٢٩.

(٤)زروق : قواعد التصوف وشواهد التعرف ، ص١٠.

(٥)–طاهر (دكتور حامد طاهر) : معالم في التصوف ، ص ١٥.

(٦)– القشيري : هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة أبو القاسم القشيري إمام الصوفية، وصاحب الرسالة القشيرية في علم التصوف، ومن كبار العلماء في الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب والشعر، (٣٧٦ هـ – ٤٦٥ هـ)، الملقب بـ "زين الإسلام" (انظر طبقات الشافعية الكبرى: السبكي، ج٥، ص ١٥٣ ط الأولى، ١٩٦٧م) ، (البداية والنهاية: الحافظ بن كثير، تحقيق: علي نجيب عطوي، ج ١٢، ص ١١٤ دار الكتب العلمية ببيروت (د.ت).

(٧)– القشيري (٤٦٥ هـ): الرسالة القشيرية ، ج٢ /ص٥٥٠.

(٨)– الدكتور عبد الرحمن بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي ، ص ١٥ – ١٦ بتصرف.

(٩)– القشيري : الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ج٢ /ص٥٥١.

(١٠)– زروق : هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بـزرّوق (٨٤٦ هـ – ٨٩٩ هـ) الفقيه المالكي المعروف.. صاحب الشروحات المعتمدة عند المالكية، ومن أهم من اعتنى بجانب التربية والسلوك في الكتابات الإسلامية.. وتذكر العديد من المصادر أنّ الزروق قام بحركة تصحيحية لمسيرة التصوف التي كانت حصيلة سنوات من التعلم والسفر بين الحواضر العلمية في العالم الإسلامي والتي اعتبر العديد من المؤرخين أنها أظهرت التصوف كمنهج حياة متكامل وفق الكتاب والسنة(انظر أحمد بك النائب الأنصاري : المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب ، منشورات مكتبة الفرجاني – طرابلس الغرب – ليبيا ، ص١٨٣).

(١١)– سورة الأنعام آية : (٥٢).

(١٢)–زروق : قواعد التصوف وشواهد التعرف ، مرجع سابق ، ص١١.

(١٣) الشيخ إسماعيل ضيف : هو الشيخ إسماعيل ضيف الخلواتي شيخ الطريقة الضيفية الخلواتية ، شريف النسب فهو ينتسب لآل بيت النبي والممتد سنده فى الطريق إلى السادة الأقطاب الواصلين ، ولد في القرن الثالث عشر الهجري عام (١٢١٠هجريا) ، بين سنتي ١٧٩٥ و١٧٩٦ميلاديا) – وانتقل إلي جوار ربه (عام ١٢٨٠ هجريا – الموافق بين سنتي ١٨٦٣ و١٨٦٤ميلادياً) . في حياه حافله بالطاعة والمجاهدة.(انظر : محيي الدين الطعمي : الطبقات الكبرى ، الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع ، تاريخ النشر: ١٩٩٤/٠١/٠١م طبعة ١، ج٣/ص٢٠، أبو عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٣م ص١٩٤– ١٩٦ ، حلية الأولياء، تأليف: أبو نعيم، ج١٠، ص٣٥٧).

(١٤)–سورة الحشر من آية : ٧.

(١٥)– إسماعيل عبد الله المغربي الصاوي : النور الوضاء فى فى مناقب وكرامات عمدة الاولياء ، ص٨٤.

(١٦)– البخاري : أخرجه البخاري» كتاب الإيمان » باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة ، ج١/ص١٤٠ رقم ٥٠ .

(١٧)–الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) : تفسير الشعراوي (الخواطر) ، ج٨ (ص٤٨٥٨).

(١٨)– نيكسون(نيكلسون ، رينولد ألين, ١٨٦٨–١٩٤٥م) : التصوف الإسلامي وتاريخه ، ص ٣٤٩.

(١٩)–ابن عاشر : هو عبد الواحد بن عاشر (٩٩٠هـ – ١٠٤٠هـ) هو أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن علي ابن عاشر الأنصاري، المعروف بابن عاشر، وهو من حفدة الشيخ أبي العباس ابن عاشر السلاوي (ت٧٦٥هـ). فقيه عالم من المغرب. يعد من أبرز علماء المذهب المالكي واشتهر بمنظومته «المرشد المعين على الضروري من علوم الدين» والتي نظم فيها الفقه المالكي، بالإضافة إلى باب العقيدة والتصوف(انظر عبد المغيث مصطفى بصير، الفقيه عبد الواحد بن عاشر..حياته وآثاره الفقهية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب ٢٠٠٧م).

(٢٠)– أحمد بن عجيبة (١١٦٢ – ١٢٢٤هـ / ١٧٤٨ – ١٨٠٩م) أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الإدريسي الحسني الشريف ، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثاني عشر الهجري في المغرب(انظر الزركلي : الأعلام، ج١، ص١٤٥).

(٢١)– عبد السلام العمراني الخالدي : رسائل النور الهادي ، ص ٦١.

(٢٢)– التلمساني : شرح شطرنج العارفين (أنيس الخائفين وسمير العاكفين) ، ص ١٨.

(٢٣)– الحديث صحيح ، وسبق تخريجه.

(٢٤)– القشيري : الرسالة القشيرية ، مرجع سابق ، ج٢/ ص ٥٥٢

(٢٥)الجنيد: الجنيد البغدادي (٢١٥ – ٢٩٨ هـ) عالم مسلم وسيد من سادات الصوفية وعلم من أعلامهم. يعد من علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف في الآن ذاته، إذ جمع بين قلب الصوفي وعقل الفقيه ، واشتهر بلقب «سيد الطائفة». وعدَّه العلماء شيخ مذهب التصوف؛ لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة(انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، سنة ١٤٠١هـ –١٩٨١م ج١٤/ص٦٦، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الطبقات الكبرى ، زين الدين محمد عبدالرؤوف المناوي / ٥٧٢/١ / دار صادر / ط ١ ١٩٩٩م).

(٢٦)– أحمد الرفاعي : الإمام أحمد بن علي الحسيني الرفاعي (١١١٨ م/ ٥١٢ هـ – ١١٨٢ م/٥٧٨ هـ)، فقيه شافعي أشعري وصوفي عراقي في القرن السادس الهجري/القرن الثاني عشر الميلادي. يعتبر «الإمام أحمد الرفاعي»، من أقطاب الصوفية، وإليه تنتسب الطريقة الرفاعية، ويلقب بـ«أبو العلمين»، و«شيخ الطرائق»، و«الشيخ الكبير»، و«أستاذ الجماعة» من مؤلفاته: تفسير سورة القدر، والطريق إلى الله، وشرح التنبيه في الفقه.. جمع كلامه في رسالة دعيت رحيق الكوثر(انظر الإمام أحمد الرفاعي : المصلح المجدد ،

جمال الدين الكيلاني ، زياد الصـميدعي ، المنظمة المغربية ، مراكش ، ٢٠١٢ ، ص ٢١ ، الوافي بالوفيات – صلاح الدين الصفدي ، ج٢١٩/٧).

(٢٧)– الجيلاني : هو عبد القادر الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني (٤٧٠ – ٥٦١ هـــ)، هو أبو محمد عبد القادر بن موسـى بن عبد الله ، يعرف ويلقب في التراث المغاربي بالشـيخ بوعلام الجيلاني، وبالمشـرق عبد القادر الجيلاني، ويعرف أيضا ب"سلطان الأولياء"، وهو إمام صوفي وفقيه حنبلي شافعي، لقبه أتباعه بـ"باز الله الأشهب" و"تاج العارفين" و"محيي الدين" و"قطب بغداد". وإليه تنتسب الطريقة القادرية الصوفية(انظر عبد المجيد بن طه الدهبي الزعبي الجيلاني (٢٠٠٩ م)، إتحاف الأكابر في سـيرة ومناقب الإمام محيي الدين عبد القادر الجيلاني الحسني الحسيني ، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ص ٤).

(٢٨)–البدوي : هو أحمد بن علي بن يحيى البدوي الحسيني الفاسي (فاس ٥٩٦ هـــ/١١٩٩ م – طنطا ٦٧٥ هـ/١٢٧٦ م) صوفي ، وثالث أقطاب الولاية الأربعة لدى المتصوفين ، وإليه تنسب الطريقة البدوية ذات الراية الحمراء. لُقب بالبدوي لأنه كان دائم تغطية وجهه باللثام مثل أهل البادية، وله الكثير من الألقاب، أشهرها شيخ العرب والسطوحي(انظر عبد الرؤوف المناوي : الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، الجزء الأول ، طبعة مصر، ١٩٣٨، ص ٣٢٢ ، عبد الله صابر، السيد البدوي دراسة نقدية، دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٥).

(٢٩)– الدسوقي : هو إبراهيم بن عبد العزيز أبو المجد (دسوق ٦٥٣ هـ/١٢٥٥ م – ٦٩٦ هـ/١٢٩٦)، صوفي مصري ، وآخر أقطاب الولاية الأربعة لدى الصوفية، وإليه تنسب الطريقة الدسوقية. لقّب نفسه بالدسوقي؛ نسبة إلى مدينة دسوق بشمال مصر التي نشأ فيها وعاش بها حتى وفاته(انظر فوزي محمد أبو زيد : شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقي ، دار الإيمان والحياة ، القاهرة ،سنة ٢٠٠٨م ، ص ٩١).

(٣٠)– ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ج٣ ص٣٣٠. ج١ ص١٣٥.

(٣١)القائل الليث بن سعد (ولد في مصر ٧١٣هـ) ، نقلاً عن أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـــ) : كتاب: ميزان العمل ، حققه وقدم له: الدكتور سـليمان دنيا ، دار المعارف، مصـر ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م ، ص٤٠٠.

(٣٢) أبو حامد الغزالي(ت ٥٠٥هـــ) : المنقذ من الضلال ، ص٤٩ ، ابن عجيبة الحسني : إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ج١/ص٧.

(٣٣) السلمي (أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) : طبقات الصوفية (١٧٠/١).

(٣٤)–السلمي : طبقات الصوفية ، ص ١٥٩.

(٣٥)– ابن الملقن سراج الدين المصري (ت ٨٠٤هـ) : طبقات الأولياء ، ص٤٢.

(٣٦)– عبد القادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس ، ص ٣٣٩.

(٣٧)– أبو العلا عفيفي : التصوف: الثورة الروحية في الإسلام ، ص١٢١.

(٣٨)– عبدالحليم محمود : أستاذ السائرين الحارث المحاسبي ، ص١٢.

(٣٩)– عبد الحليم محمود : قضية التصوف المنقذ من الضلال ص٢٩.

المصادر والمراجع

١-معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، سنة ٢٠١٨م.

٢-ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، د. ط، بيروت ، د. ت.

٣-المعجم الوسيط ، معجم عربي من إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة، الطبعة الخامسة عام ٢٠١١م.

٤-زروق (أبي العباس أحمد زروق الفاسي) : قواعد التصوف وشواهد التعرف ، اعتنى به نزار حمادي ، طبع المركز العربي للكتاب الشارقة ، دار الكتب العلمية ، سنة ٢٠٠٧م.

٥-طاهر (دكتور حامد طاهر) : معالم في التصوف ، طبعة د ار نهضة مصر ، سنة ٢٠١٠م.

٦-القشيري (٤٦٥ هـ): الرسالة القشيرية ، تحقيق: الإمام الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمود بن الشريف ، الناشر: دار المعارف، القاهرة.

٧- الدكتور عبد الرحمن بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي ، من البداية حتى نهاية القرن الثاني ، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الثانية ١٩٧٨م.

٨- إسماعيل عبد الله المغربى الصاوي : النور الوضاء فى فى مناقب وكرامات عمدة الاولياء سيدى أحمد الصاوى الخلواتي المالكي ، مصر ، مطبعة الصدق الخيرية ، سنة ١٩٢٩م.

٩-الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) : تفسير الشعراوي (الخواطر) ، مطابع أخبار اليوم القاهرة.

١٠- نيكسون(نيكلسون ، رينولد ألين, ١٨٦٨-١٩٤٥م) : التصوف الإسلامي وتاريخه لنيكسون ، ترجمة عربية للدكتور أبي الوفاء العفيفي ، طبعة القاهرة.

١١- عبد السلام العمراني الخالدي : رسائل النور الهادي دار الكتب العلمية لبنان بيروت ، سنة النشر: ٢٠٠٤م.

١٢- التلمساني : شرح شطرنج العارفين (أنيس الخائفين وسمير العاكفين) ، المحرر: عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية لبنان بيروت ، ، سنة النشر: ٢٠٠٥م.

١٣- ابن القيم : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ت: محمد المعتصم بالله البغدادي, دار الكتاب العربي بيروت, طبعة ٣، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

١٤- أبو حامد الغزالي(ت ٥٠٥هـ) : المنقذ من الضلال ، تحقيق عبدالله شيخ حسين ، دار البيروتي، تاريخ النشر ٢٠٢٠م.

١٥-ابن عجيبة الحسني : إيقاظ الهمم في شرح الحكم" لابن عجيبة ، طبعة دار المعارف ، تحقيق محمد أحمد حسب الله.

١٦- السلمي (أبو عبد الرحمن السلمي (ت ٤١٢هـ) : طبقات الصوفية ، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
١٧- ابن الملقن سراج الدين المصري (ت ٨٠٤هـ) : طبقات الأولياء ، تحقيق : نور الدين شريبه من علماء الأزهر الناشـــر: مكتبة الخانجي ، بالقاهرة ، الطبعة الثانية ، ســـنة ١٤١٥ هـــــ – ١٩٩٤م.
١٨- عبد القادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي ، بيروت لبنان ، طبعة دار الجيل.
١٩- أبو العلا عفيفي : التصوف: الثورة الروحية في الإسلام ، مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٠م.
٢٠- عبدالحليم محمود : أستاذ السائرين الحارث المحاسبي ، طبعة دار المعارف ، القاهرة.
٢١-عبد الحليم محمود : قضـية التصـوف المنقذ من الضـلال ، طبعة دار المعارف القاهرة سـنة ١٩٨٨م.